ؤنا هم صوت الحق الناطق

الظالمين بتحرير ١٠ أسرى من سجن جو المركزي بهجوم مسلّح من قبل
الشهيد علي العرب والأبطال الآخرين...
جريدة الوفاق إلتقت بالمعتقل البحريني السابق محمد إبراهيم آل طوق وكان
حديثاً طويلاً وسيرة حياة ووقفات عزّ في الحياة ونضال وجهاد حتى تحقيق
الحرية والخروج من الماء الى ايران...

سجن والغربة وما بينها
لال رحلة نضاله وعذابه
الجمهورية الإسلامية
لية التي هزّت عروش

المركزي، لكن العجيب في الأمر بأن كلما كان المرتزق أكثر تعذيباً ودناءة كلما حصل على ترقية ورتبة أعلى من وزارة الداخلية.

السجن... عذابات ومعاناة

اليوم داخل السجون يوجد معتقلون من جميع الفئات العمرية، فهناك الطفل والشاب والشيخ الكبير، ولكل معاناته الخاصة، صحيح كلهم يجتمعون في معاناة سلب الحرية ويجمعهم الظلم الواقع بهم داخل السجن، إلا أن كل فئة تعيش معاناة تختلف عن الفئة الأخرى. لكن نسأل أنفسنا: لماذا سجون البحرين مليئة بالأطفال؟ هل الأطفال مكانهم السجن؟ أليس ينبغي أن يكون مكانهم وسط عائلتهم وآبائهم وأمهاتهم وعلى مقاعدهم الدراسية؟ السلطة الظالمة لا تأخذ كل هذا بعين الإعتبار، بل إنها تصرّ على رؤية الاطفال وهم بعمر الزهور يذبلون داخل السجون المظلمة. أما فئة الشباب فإنهم يعيشون مرارة البعد عن زوجاتهم وأبنائهم، كما أن الأمراض أصبحت بشكل مخيف داخل السجن، وكم من الشباب اليوم ينعون أنفسهم من داخل السجون والإدارة لا تستجيب لهم، وكذلك كبار السن والرموز وذوي الأعمار المتقدمة الذين دخلوا الى السجن وهم يحملون أمراض مزمنة ومختلفة، وإدارة السجن تتعمد عدم إعطائهم حق العلاج، وناهيك عن كل المعامله السيئة.

"سيوف الثأر" إنتزاع الحرية من فكّ الأسد

داخل سجن جو المركزي حياة مظلمة من نوع آخر، وحدهم المعتقلون أو الذين مرّوا على هذا السجن يعرفون حجم العذاب ونوع الجحيم الذي يعيشه المعتقل في البحرين، ومع هذا استطاع بعض المعتقلين ظلماً أن يفرّوا من هذا السجن، وهنا في سؤالنا عن بعض عمليات الهروب يرفض محمد عبارة"الهروب أو الفرار" يقول: " نحن نستخدم عنوان وعبارة "التحرّر من السجن" ذلك لأننا لم نرتكب أي جرم لكي نسجن في سجن جو، سواء من الرموز القادة الى أصغر معتقل في السجون الخليفية الذين خرجوا للمطالبة بحقوق مشروعة، إعتقلتهم قوات الأمن وملأت السجون من الأبرياء، فحق كل معتقل أن يُحرر نفسه من هذا الظلم، وأنا شخصياً وفقني الله للعمل من داخل السجن تحت قيادة الشهيد رضا الغسرة، واستطعنا تحرير أنفسنا من هذا السجن مع الشهيد رضا الغسرة و ثمانية أشخاص في عملية أطلق عليها الشهيد الغسرة عنوان "سيوف الثأر" إنتزعنا حريتنا بأيدينا من فك الأسد، وخابت كل تحصينات العدو وإجراءات سجن جو. رسالتان مهمتان وصلت للعدو والصديق، الرسالة الأولى للعدو أن سجون الظلم لم تكسرنا ولم تجعلنا نحيد عن مواصلة الطريق، طريق الحق والعدالة وتطبيق رسالة السماء في الأرض، أما الرسالة الثانية فكانت الى الصديق والأصدقاء من الثوار وعوائل المعتقلين والشهداء أننا باقون على النهج ولن نتخلى عن حقوقنا مهما كانت الظروف وصعوباتها.

الشهيد رضا الغسرة... صوت الحق لكل معتقل مظلوم

بعادته السجان يعزل المعتقل عن العالم الخارجي بأكمله، ويوجد في سجن جو تحصينات كبيره جداً، للوهلة الأولى يتخيل للمعتقل استحالة الفرار والتحرّر من هذا المكان، فأبراج المراقبة تحيط بالسجن، الكاميرات تملأ المكان من الخارج والداخل حتى داخل المباني تتوزع الكاميرات في كل الجهات والممرات، إضافة الى الكلاب المزروعة في باحات السجن والمرتزقة الذين يراقبون الساحات داخل السجن، كل هذه الإجراءات تصب في فكرة واحدة، بأن يدخل اليأس في قلب المعتقل من القدرة على تخطي كل هذه الحواجز، غير ان خطة السجّان فشلت في إدخال اليأس في القلوب، ليخرج شاب من داخل مبنى الزعل "مبنى المحكومين بالإعدام" ويكسر كل هذه القيود، ويصدم الجميع الصديق قبل العدو، بعملية معقدة وجديدة في تاريخ البحرين، إنهُ الشهيد رضا الغسرة.

فمع طلوع شمس العام الجديد وبالتحديد في فجر ٢٠١٧/١/١ مع إرتفاع صوت الحق "الله أكبر" أرتفع نداء رضا الغسرة ببدء العملية التي ستجعل النظام يجر خيبات الذل والذاكرة الأليمة لهُ في كل عام من تاريخ ١/١، يوم تحطمت كل التحصينات وفشل النظام بالوثوق بمرتزقته الذين يملأون سجن جو المركزي، وصدم خبر العملية قيادة السجن والحكومة وألغيت على آثار العملية عملية استقدام المرتزقة من الدرك الأردني، وتم تنحية مدير السجن من منصبه ومعه عددكبير من ضباط إدارة سجن جو، هذا الحدث إنطلق من غرفة صغيرة في مبنى العزل للمحكومين بالإعدام، وأسست هذه العملية لإمكانية التحرّر من السجن وعذاباته عن الكثير من الشباب المظلوم والمعتقل داخل سجون آل خليفة، وأن ما يؤخذ بالقوة لا يستردّ إلاّ بالقوة.

تحررنا من السجن لمواصلة الطريق... والنظام البحريني يحكم الشعب بالنار والحديد

لا أحد يدرك حجم جرح الطرد عن الوطن إلاّ من عاش نكبة الطرد، فهل من الممكن لأي إنسان أن يألف وطناً لم ينتم إليه يوماً؟ هذا هو حال محمد طوق ومعه المئات بل وأكثر ممن أُخرجوا بالقوة من وطنهم، يقول طوق: " أنا محكوم بالإعدام في وطني، بعدما تحررت أنا وبقيّة أصدقائي من السجن رفع النظام حالة القسوة في البحرين، وحذّر جميع الأهالي في البحرين ببيان واضح وصريح بأن من يحتضن أو يخبىء "الفارين" اي المحررين من السجن وأياً كان من أهالي البحرين سيلاقي عقوبة تصل الى ١٥ عاما من السجن، وهذا هو سبب تخوّف الكثير من الأهالي من استقبالنا، فأصبحت البحرين ضيّقة جداً علينا، ولا نستطيع التحرك داخلها، الحواجز الأمنية تملأ الطرقات، والمناطق تنتشر فيها مرتزقة العدو، ونحن خرجنا من السجن لا لكي نختبئ، إنما خرجنا من السجن لمواصلة الدرب الذي مشينا فيه، لذلك كان قرارنا الخروج من البحرين ونكون في حرية واسعة للعمل على المواصلة بالمطالبة بحقوقنا ونقف ضد هذا النظام المستبد، ونرفع معاناة الشعب البحراني ونظهرها للعالم أجمع، ونواجه الظالم بكل الوسائل ويكون لنا حرية الكلام وإبداء الرأي، فداخل البحرين اليوم النظام يحكم الشعب بالنار والحديد، وأي شخص ينطق بكلمة مصيره السجن.

أسقاط الجنسية وألم الإبعاد عن الوطن... لكن هويتنا لا تتمثل بالجنسية والجواز

إضطهادات مختلفة يمارسها النظام البحريني بحق المعتقلين والشعب وكل من يرفض سياسة آل خليفة على أرض البحرين، فالمكان بالنسبة للإنسان البحريني هو الوجود، وهو الأرض والوطن والبلاد والسكن والتراب، هناك حيث تتربى الحواس على الفطرة والذكريات، لكن ما أسهل على الحكومة في البحرين أن تنزع الجنسية على هؤلاء المواطنين، وما أصعب على كل من تُسقط جنسيته أن يعيش خارج المكان والزمان، في اسقاط الجنسية عن عددكبير من البحرينيين نكمل حديثنا مع محمد طوق، يقول : "اسقطت الجنسية عني سنة ٢٠١٧ وفي سنة ٢٠١٨ صدر حكم ثان باسقاط الجنسية للمرة الثانية بحقي، نحن ننظر الى الموضوع بعين إن هويتنا لا تتمثل في الجنسية والجواز، وإنما اصالتنا وجذورنا من مئات السنين في البحرين، واليوم من يسقط الجنسية ومن يعمل على إثبات هوياتنا هم بالأصل أناس دخيلون على البحرين، ما يؤلم بالفعل بأن الغرباء اليوم أصبحوا أصحاب أرض أجدادنا، ويتهموننا بأننا لسنا السكان الأصليين في جزيرة البحرين، وهذه احدى عجائب الزمان الذي نعيشه في ظل الطغاة اليوم، وفي كل الأحوال نحن لا بدّ أن نتقبّل هذا الواقع المرير، ترتكز لدينا أحكام الإسلام المحمدي، ولا نعتي بهذه الحدود المرسومة والهويات في إثبات هوية الشخص، وإنما نتبع القرآن ونسير على كلام القرآن كدستور الى حياتنا ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)).. القرآن لم يحدد الجنسية والهوية، بل قال أتقاكم، هذا هو مقياسنا، واليوم انا وكل المعتقلين ننتمي إلى مدرسة كل المجاهدين في العالم ، وأينما وُجِد الظالم هو عدوي وأينما وُجِد المظلوم أسانده على الظالم".

النصر حليفنا وبعد المسافات لم يفصلنا عن أرضنا وهويتنا

نكمل في قصص العذاب والإخراج من الوطن، وكيف يعيش الإنسان خارج المكان مجبراً وهرباً من القمع والإستبداد والظلم واسقاط الجنسية وغيرها من أنواع الظلم التي تمارسها الحكومة بحق هذا الشعب، يضيف طوق: "صحيح أننا نعيش اليوم خارج البحرين بأجسادنا، ولكن عيوننا وقلوبنا على هذه الجزيرة الصغيرة، بُعد المسافات لم يستطع ان يفصل بيننا وبين هذه الجزيرة الأبيّ شعبها رغم كل هذه المسافات، هذه عيوننا موجهة الى العدو بشكل أكبر، وجهدنا وعملنا موجه الى الداخل اليوم أكثر من قبل، البحرين أرضنا ودِيننا في خطر إذا بقيت هذه العائلة الفاسدة الحاكمة تحكم البلد، نحن اليوم نحمل مسؤولية الدين وحماية هذا الدين، ولن نرضى أو نقبل بما نحن عليه، سيأتي يوم ندخل أرضنا منتصرين إن طال الزمان أو قصر فالنصر حليفُنا.

المبعدون عن البحرين ينقلون مظلوميتهم ومظلومية الشعب الى المحافل الدولية

إذاً، لا يمكن للمسافات أن تفصل بين القلوب والهوية والدين والإنتماء، بل يمكن للبعيد عن الوطن والأهل أن يحقق إنتصارات تنبع من هذا الشوق ويساندها الإصرار بالعودة يوماً ما، يحدثنا طوق عن الإنتصارات المختلفة التي حققها حتى اليوم قائلاً: "الإنتصار الأول الذي حققناه هو كسر إرادة العدو في محاولة إبقائنا داخل السجن، فها نحن اليوم أحرار نرفع صوتنا وصوت المعتقلين داخل السجن وداخل البحرين الى الخارج، ونُظهر مظلوميتنا أمام كل العالم ولوكان كل العالم ضدنا، نحن نُبيّن للعالم بأسره جرائم هذا النظام الفاسد، لقد شكّل وجودنا في الخارج نفق حجرة يتعثر بها النظام في كل المحافل الدولية، وها هو النظام يدفع الملايين لكي يعمل على تبييض صفحته أمام العالم، في المقابل يمكن لأي شخص في الخارج إفشال هذا المخطط وفضح جرائم النظام، اليوم هناك حقيقة مهمة وهي أن هذا النظام يتعامل مع الشعب داخل البحرين بقوة وقسوة وكل من ينتقد هذه السياسة يُرمى في السجن، لكن الذين خرجوا من البلاد يعملون بمسؤولية ويؤدّون دورهم المطلوب بشكل صحيح، ونحن نرى ونشاهد بأن اي مواطن بحريني اليوم يشارك في مظاهرة سلمية ترفض التطبيع أو حتى يهتف ضد الكيان الإسرائيلي هو في نظر النظام مجرم وتتم معاقبته، لكن كل المبعدين عن الوطن يستطيعون اليوم ومن مختلف البلاد أن يظهروا الرفض الشعبي لعملية التطبيع مع الكيان الإسرائيلي، وفشل النظام في محاولاته المختلفة والعديدة من إخماد صوت الشعب رغم كل التضييق والسجون والإرهاب.

سنعود الى البحرين منتصرين وسننتصر على من اتّخذ الظلم عباءة له

رغم كل الظلام والسياط والسجن والأنين ووقع أقدام السجانين الذي لا يزال يتردد في صدى الممرات الضيقة بين الزنازين، يأخذنا محمد طوق الى الأمل بالعودة مجدداً الى البحرين رغم كل الانتهاكات التي يشهدها هذا البلد الجميل بجمال نضال شعبه، يقول طوق: "شعب تخرج من مدرسة عاشوراء لا يُهز ولو بقى لوحده يقاتل في سبيل الحق، نحن واثقون بأن النصر حليفنا، وواثقون بأن اليوم الذي سندخل فيه أرضنا بكل فخر وعزّة سيأتي، وسننتصر على من اتّخذ الظلم عباءة له، سيأتي هذا اليوم الذي سيزول فيه كل هذا الظلم، لأن النظام في البحرين يحارب شعب بأكمله، يحاربه على هويته وثقافته وعقيدته، وكلما إزداد هذا النظام في طغيانه كلما إزددنا نحن يقيناً بأننا منتصرون على هذه السياسة الخبيثة بإذن الله.

> طوق: صحيح أننا نعيش اليوم خارج البحرين بأجسادنا، ولكن عيوننا وقلوبنا على هذه الجزيرة الصغيرة، بُعد المسافات لم يستطع ان يفصل بيننا وبين هذه الجزيرة الأبيّ شعبها رغم كل هذه المسافات

الشهداء: عباس السميع وسامي مشيمع وعلي السنكيس رفقاء الدرب داخل السجن

ما أطول الوقت داخل السجن في تلك الأيام وما أقصر تلك الليالي التي تشارك فيها محمد طوق مع أبناء وطنه داخل السجن، فهم فتية آمنوا بربهم فزادهم الله هدى، منهم من استشهد ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلا... يكمل محمد طوق حديثه ونكمل نحن توثيق هذه الأحداث التي تدخل القلب والوجدان ولا تخرج منه، يقول طوق: "عشت مع ثلاث شمعات في سجن جو مبنى واحد، هم الشهيد عباس السميع والشهيد سامي مشيمع والشهيد علي السنكيس، كانوا من خيرة الشباب في المعتقل، وكانت نظراتهم وهمساتهم وكل ما يقومون به توحي لنا بأن هؤلاء ليسوا من أهل الدنيا بل مكانهم جنات الخلود، وقتها حُكم عليهم بالإعدام، وأُجبروا على الإعتراف بعمل لم يقوموا به ولم يعرفوا عنه شيئاً من الأساس، وعلى أثر إنتزاع الإعترافات تحت وطأة التعذيب صدر في حقهم حكم الإعدام، وفي فجر مرّ على سماء البحرين لم نشهده مثله يوماً بعد ليلة موحشة عاشها المجتمع البحريني بقلق كبير، إذ سبق هذه الليلة إتصال من أجهزة الداخلية الى أهالي المحكومين بالإعدام وطلبوا منهم الحضور لزيارة أبنائهم في نفس الوقت وبشكل مفاجئ، ولم تكن هذه من عادات السجن، تسمّرنا جميعاً أمام القلق مع عوائل الشهداء، نترقب إعلان النظام المجرم خبر إعدام ثلاثة أقمار، إلاّ ان الشهداء كانوا مطمئنين بلقاء الله، والعدل الالهي، (وقد قالها قمر المُستشهدين علي السنكيس، سأرحل فداءً الى صاحب الزمان) وعند بزوغ الشمس تم تنفيذ حكم الإعدام بهؤلاء الشباب الثلاثة، واستيقظنا على هذا الخبر الصادم، فنالوا هم الشهادة وبقيت أنا أسير ذكريات السجن معهم، فلا يوجد نعمة أفضل من نعمة أن يعيش الإنسان في كنف الشهداء، يحمل رسالتهم ويحدث الأجيال بها، وما أسرعها من لحظات بعد استشهادهم،يذهبون لتبقى ذكرياتهم وسكناتهم في القلب، وتبقى أجمل الحكايات في دائرة الشهداء (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ).

معركة استرداد الحقوق من مغتصبي الأرض مستمرة

هي البحرين، تلك الجزيرة الصغيرة التي تضم المناضلين العظماء والرجال الشرفاء، فهذه الجزيرة الصغيرة المعروفة بطيبة شعبها وأصالتهم المتجذرة على هذه الأرض، دخلوا عليها قطاع الطرق وخفافيش الظلام وارتكبوا الجرائم منذ لحظة دخولهم إليها، وتربعوا على عرش الحكم بالقهر والنار والحديد، وبمباركة الدول التي تدعي حقوق الإنسان وعلى رأسهم بريطانيا، ومنذ أجدادنا الى هذا اليوم فإن معركة استرداد الحقوق من مغتصبي الأرض مستمرة من جيل بعد جيل، كما هو استمرار النضال الذي ورثناه عن آبائنا وهم عن آبائهم، وسنورثها الى أبنائنا، فالنضال لن يتوقف حتى نسترد جميع حقوقنا التي سلبها الدخلاء من أرض الوطن.

ذكريات الطفولة: "القدس قضيتي" والبيت وحضن الأهل والمزرعة والمدرسة

رغم كل هذه الأحداث والعذابات والإنتهاكات التي عاشها المحرر محمد طوق، إلاّ أن ذاكرته لا تزال تحفل بالكثير من حكايا الطفولة وذكرياتها الجميلة، الى منطقة واديان نذهب معه في حديثه، حيث سماء منطقته الصغيرة ومسجد الغدير لا تزال تحتل مساحة في ذاكرة مليئة بالأحداث الجميلة منها والمؤلمة، يقول طوق: "عشت في منزل والدي ذات المساحة الصغيرة والكبيرة جداً بالمحبة والأمان والإحتضان العائلي، تربيت وترعرعت في ذلك المنزل الجميل، في أحضان والدي الحنون، وأمي العطوفة، كل الأماكن الجميلة لا تصرف عني جمال هذا البيت الصغير، وتلك الغرفة التي نجتمع فيها أنا وأخي، لا شيء أجمل من ذلك المنزل لا شيء... لا يزال كل زقاق في منطقتي يدور في ذهني ولا يذهب من تفكيري، فالمدرسة في الحي إسمها "مدرسة إبن النفيس"، لا تزال هي هي حيث كانت أمي تجهز لي حقيبتي الدراسية وترسلني إليها، ولا أنسى تحضير وجبة الفطور التي تضعها أمي في الحقيبة، الكرسي القديم الخشم في صفوف هذه المدرسة، هناك في تلك المدرسة تعلمت "أن القدس هي قضيتي" ونحن أمة العرب سنحرر فلسطين من المحتل. لكن للأسف عندما كبرت اكتشفت إن من يطلقون على أنفسهم أمة العرب هم من باعوا فلسطين الى المحتل، وهم اليوم من يطبّعون مع الكيان الإسرائيلي، ورغم هذا الخذلان إلاّ أن كل حرف تعلمناه لا زال محفور في أعماق أفكاري ووجداني، أن عدوي هو الكيان الإسرائيلي، وفي وطني ايضاً كنت أمارس هواية ركوب الخيل، ذلك المكان الذي كنت أذهب إليه بكل اشتياق، المزرعة وجمال الأشجار والحصان وهو يركض أمامي، وصهيل الفرس التي تحمل في أعماقها أفكاري، تأخذني ألى "الميمون" فرس الإمام الحسين (ع)، أبناء عمي وهم يجتمعون في هذا المكان، نتسامر ونضحك ونزرع ونربي الخيول، كلّ هذه الذكريات تُحاصرني في كل يوم وكل لحظة.

الظالم حال بيني وبين رؤية والدي قبل وفاته

لو قُدّر لك الان العودة الى البحرين ما هو اول شيء ستفعله عند وصولك؟ كان هذا السؤال ربما هو الأكثر ألماً للمحرر محمد طوق، ففي طيات وحياة هذا الشاب الثلاثيني ذكريات جميلة كالذكريات المليئة بالألم، يقول طوق: "بعد خروجي من السجن ووصولي الى الجمهورية الإسلامية الإيرانية، عمد النظام على إصدار منع سفر على أهلي، وبعد فترة من هذا المنع أُصيب والدي ببعض الأمراض أدى ذلك الى وفاته، كنت أتمنى أن أرى والدي قبل رحيله، رحل عن الدنيا بعد خروجي من السجن بأربعة أعوام، ولكن الظالم حال بيني وبين رؤية والدي، لذا، عندما تطأ قدمي أرض البحرين سأذهب الى قبر والدي وأحكي له كل ما حصل لي من معاناة في السجن الى التعذيب والغربة والبعد عنه وعن العائلة وعن الديار، سأشكو الى ابي كل ما حصل وأعتذر منه وله على عدم قدرتي أن أكون قربه وهو في مرضة وهو في أمس الحاجة الى وجودي، سأذهب إلى رفاق درب الجهاد والنضال، الى قبورهم والى روضاتهم، هؤلاء أصدقائي الذين نالوا شرف الشهادة، وزفّتهم البحرين الى روضاتهم مخضبين بدمائهم، الشهيد علي فيصل والشهيد رضا الغسرة، سأقول لهم أنني صديقكم الوفيّ الذي لم يتخلّ عن دربكم، سأمضي على طريق ذات الشوكة لتحقيق المطالب التي قدمتم دمائكم من أجلها، أنا لن أتخلى عن دمائكم، ها أنا لا زلت على دربكم، فإما النصر أو الشهادة في طريق الرسالة السماوية.

> شعب تخرج من مدرسة عاشوراء لا يُهز ولو بقى لوحده يقاتل في سبيل الحق، نحن واثقون بأن النصر حليفنا، وواثقون بأن اليوم الذي سندخل فيه أرضنا بكل فخر وعزّة، وسننتصر على من اتّخذ الظلم عباءة له، سيأتي هذا اليوم الذي سيزول فيه كل هذا الظلم